موسى عليه السلام
والعبد الصالح

- رؤية تربوية -

د. عبد الرزاق محمد أمين الجاف
كلية الإمام الأعظم

خلاصة البحث

الصُّحبة أمضى وسائل التربية مقترنةً بالقدوة العملية للمبادئ التي يرومُ المربِّي تعليمَها لَمن يُربّي، لأن المبادئ والقيم تبقى كلامًا حتى تُتَرجم على أرض الواقع مواقفَ وسيرةً.

التربية بالصحبة تعني أن يصحبَ المربِّي مرَبّاهُ، والشيخُ مريدَه، والمعلمُ تلميذَه، في أنشطة وفعاليات ودروس عملية يوضح خلالها أو بعدها كلَّ ما يجري مستنبطًا العبر، يسأل التلميذ ويناقش متى ما يسمح له المعلمُ أو الشيخ الأستاذ.

ومن فوائد التربية بالصحبة، إضافةً إلى تعلم العلوم والخبرات، الإفادة مما يُدعى بـ(السَّمْت)، وهو حالة المربي وهيأته في حال تدريسه، وسائر سلوكه في، داخل حلقة الدرس أو خارجها؛ ينظر إليه التلميذ أو المتربي يرقبه بغية الاقتداء به، لذا على المربِّي الانتباه لذلك!

وفي القصص بعامةٍ متعةٌ وفائدة، وفي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، الواردة في سورة الكهف الآيات (٦٠–٨٢) بخاصةٍ، آدابٌ وآياتٌ وعِظاتٌ، وقفَ الباحث عليها، جامِعًا مرتِّبًا مستنبطًا، -مستعينًا بالله ومسترشدًا بما تيسّر من مصادر- بتحليل تربوي يجمع بين الأصالة والمعاصرة بلغة طرائق التدريس وأساليبه، لا تخرج عن مقاصد القرآن الكريم، يتأمل معانيها، ويستخرج عِبَرَها.

تبرز من خلال هذه القصة أسئلة مهمة يروم الباحث التوقف عند إجاباتها نحو: مَن هو العبدُ الصالح؟ وما حقيقته؟ وهل هو حيّ أم ميت؟ وكيف الْتقى نبيَّ الله موسى عليه السلام؟ وما سبب هذا اللقاء؟ وكيف يقوده ويعلمه وهو أقلُّ منه شأنًا؟ وكيف تلقى دروسه عليه؟ وكيف فسر ما حصل من ملابسات؟

وإجمالاً: ما المعاني التربوية من قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح؟ وما فوائدها

لكلٍّ من المعلم والمتعلم؟؟

وللإجابة عن هذا التساؤل قصدَ البحث إلى تحقيق جملة أهدافٍ، منها:

١- معرفة عدد من آداب المتعلم، (كـالحرص والمبادرة في طلب العلم، والصبر على تحمل مشاقّ طلبِهِ ولاسيّما الرحلة، والسمع والطاعة والتواضع والانتباه للمعلم، والأدب مع الله سبحانه وتعالى، ومبادئ أخرى أهمها الإيمان بالقدَر والرضا به).

٣- تعرُّف أهم آداب وصفات المعلم المُربِّي نحو: (الرحمة، والعِلم، والحزم، والسَّمت، والقوة، والوقار، والجدّ، والصدق، والصبر على المتعلم، والوفاء بالوعد).

٤- معرفة آداب الصحبة والمعاشرة؛ ومنها: (التعارف، وحسن المعاشرة، قبول الاعتذار وإقالة العثرات: لأنه يطيل في عمر العشرة ويصفّي الودَ، وقلّة الخلاف، لأن كثرة المخالفة تقسّي القلب وتبَغّض صاحبها، وسعة الصدر، وكظم الغيظ، وترك الكبر، وإظهار الفرح بما رُزق من هذه الصحبة الطيبة، والنصيحة للصاحب وقبولها منه وعدم الترفع عليها، وحفظ العهد، وحفظ الجوارح بالأدب).

وتوصل إلى استنتاجات منها:

١- التربية بالصحبة أمضى أساليب التربية (مِنَ البليّةِ تشييخُ الصحيفة).

٢- ضرورة الحرص على التعلم، فإذا كان هذا حال النبيين، فنحن أولى.

٣- ضرورة توافر الرحمة عند المعلم قبل العلم، بدليل تقديمها مرتين.

٤- من حق التلميذ أن يشكوَ من شدّة أسلوب المعلم إذا شقَّ عليه ذلك، ويطلب التخفيف بأدب عالٍ، وعليه الاعتذار عند صدور الخطأ.

٥- على المعلم إثارة الدافعية لدى تلميذه ليحثّه على التعلم.

وأخيراً: اليقين بقدر الله تعالى وحث النفس على الرضا به، واستحضار ذلك في مواقف حياتنا.

فالقصة تكشف عن جانب من غيب الله الذي لا يُطْلع عليه أحدًا إلاّ مَن ارتضى، وتمثل الحكمة الإلهية الكبرى وراء كثير من الأحداث التي نرى ظاهرها شرًا، وهي في حقيقتها خير! والحمد لله رب العالمين.

Abstract

The fellowship is an active means in education. This is because fellowship is connected by the practical model that behaves due to principles and values which remain merely speech unless they translated into real-life situations. Education by fellowship means the learner accompanies his educator passing different activities in real life situations through which the educator explains and interprets everything the learner asks.

In addition to learning sciences and experiments, education by fellowship gives a great benefit to what is called (As-Samt) which means the status of the educator including the appearance of the educator and his behaviors inside and outside the class. The educator should be aware that the learner is eagerly watching his educator to imitate him.

Stories, in general, carry enjoyment and usefulness as in the story of Musa (may the peace of God be upon him) and the Good Slave which is mentioned in the Holy Qur'an, Surat Al-Kahaf, verses 60-82. The researcher stood at this story pointing out the main lessons and sermons it carries. With the assistance of God, and depending on different sources, the researcher pedagogically analyzed this story combines between the originality and modernity in terms of methodology and attaching to the intention of the Holy Qur'an.

Some important questions arise from this story such as: who is the Good Slave? What is his reality? Is he dead or still alive? How did Musa meet him? What is the main reason behind this meeting? How could the Good Slave direct Musa while

he is lower than Musa? How did Musa take different lessons from the Good Slave? How did the Good Slave interpret the circumstances that took place during their trip?

Generally, what are the pedagogical lessons arises from this story? And what are the benefits for both the educator and the learner?

To answer these questions, the researcher intends to achieve the following aims:

1- Knowing the decency of the learner (in terms of care in getting science, patience, obedience, humility, attention to the educator, decency with God, and other principles related to the faith).

2- Revealing the main features of the educator (in terms of merciful, science, power, appearance, truth, promise fulfillment, etc.)

3- Declaring the decencies of fellowship (in terms of good relationship, acceptance the other's apologies which causes long relation, reducing the dispute to yelling the hearts, hiding the anger, etc.)

The researcher reached the following conclusions:

1- Education by fellowship is the best means of education,

2- Give a great intention to the education. The prophet Musa learnt from the Good Slave who is of lower rank to him.

3- Mercy is an important feature of the educator.

4- Complaining is one right of the learner. The learner has to ask kindly from the educator and has to apologies from his educator if he committed any mistake.

5- The educator has to stimulate his learner towards education.

Finally, certainty in God and the acceptance of His fade is

the most important thing in our daily-life. The story includes the side of unseen things which no one knows about it but only God knows. This lesson reveals the Godly wisdom which resides behind many events that are apparently seemed wickedness while it is for our goodness. Thanks for God, Lord of creations.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نِعَمَهُ ويُكافئُ مزيدَه، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ الأنبياء والمرسَلين، سيدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ ؛ صحبِهِ والتابعين. اللهمّ علّمَنا ما ينفعُنا وانفعَنا بما علّمَنا، وأعنا متعلمين ومعلمين على التأدب بأدب القرآن الكريم.

أما بعد، فالعلم هبة الله، وعطاؤه لا يُعطى إلا لمن يُعطي من نفسه وقتًا وجهدًا وصبرًا، حتى قيل: إنَّ العِلْمَ لا يُعطيكَ بَعضَهُ حتّى تُعطيَهُ كُلَّكَ.

لا يكفي في التربية أن يوجه المربي أو المعلمُ التوجيهات ويلقي المعارف والمبادئ، إلى تلاميذه ومن يقوم على تربيتهم إلقاءً، إذ لا بد أن يروا منه أنشطةً وتطبيقاتٍ عملية تترجم هذه المبادئ والمعارف. والممارسة العملية للمبدأ (القدوة) خير طريق وأبلغ أسلوب للتربية والتعليم، في حال تعليمهم في الصفّ، أو يصحبهم في رحلة تعليمية أو تربوية يعلمهم من التجارب العملية، ما نصطلح عليه (التربية بالصُّحبــة).

والتربية بالصحبة تعني أن يصحب الشيخُ مريدَه أو المعلم تلميذه أو المدربُ المتدربَ معه أو المربِّي مرَبّاهُ، في أنشطة وفعاليات ودروس عملية يوضح خلالها أو بعدها كل ما يجري مستنبطًا العبر، يسأل التلميذ ويناقش متى ما يسمح له المعلمُ أو الشيخ الأستاذ.

ومن فوائد التربية بالصحبة، إضافة إلى تعلم العلوم والخبرات، الإفادة مما يُدعى بـ(السَّمْت)، وهو حالة المربي وهيأته في حال تدريسه، وسائر سلوكه في، داخل حلقة الدرس أو خارجها؛ ينظر إليه التلميذ أو المتربي يرقبه بغية الاقتداء به، لذا على المربِّي الانتباه لذلك!

والدارس لسيرة نبينا ﷺ يجده عاش بين أصحابه رضي الله عنهم، وكأنه قرآن يمشي بينهم، فعلّمَهم القرآن والعمل به معًا. فكان عليه الصلاة والسلام يجالسهم ويؤاكلهم ويعلمهم آداب الطعام ويذكّرهم الذي نسوه، ويبني معهم المسجد معلمًا إياهم التعاون في أجلى صوره، ويؤمّهم بالصلاة يعلمهم إياها في أرقى مراقيها، ويقاتل معهم يعلمهم الشجاعة في أعلى معانيها، كل ذلك وهو يتلو عليهم ما نزل عليه من وحي الله. وهكذا علمَّهم القرآن والعمل معًا.

وفي تاريخ المسلمين كان العلماء يجعلون اهتمامهم بخُلُق العالِم وحالِهِ مع اهتمامهم بعلمِهِ، بل يقدّمونه عليه. فكان الطلبةُ يصاحبون معلمهم يأخذونَ منه العلم في الحلقة، ويمشون معه في الطرقات، وربما استضافوه أو أكلوا عنده، وربما رأوه يبيع ويشتري.

فالصحبة أمضى وسائل التربية مقترنةً بالقدوة العملية للمبادئ التي يرومُ المربّي تعليمَها لمَن يُربي، لأن المبادئ والقيم تبقى كلامًا حتى تُتَرجم على أرض الواقع مواقف وسِيَرًا.

والقرآن يعرض لنا مواقف في التربية بالصحبة، كحال نبي الله يوسف عليه السلام مع صاحبي سجنه. وقصة صاحبي الجنتين الواردة في سورة الكهف تحكي لنا كيف يصحح أحدُهما للآخر خطأه الذي ارتكبه بسبب الغرور. كما سجل القرآن الكريم مواقفَ في مصاحبة رسول الله ﷺ لأصحابه تربيةً وتوجيهًا وتعليمًا، ما أوجد ذلك الجيل المتفرد جيل القرآن الذي عقم التاريخ أن يلد مثله؛ كموقف الصدّيق رضي الله عنه في الهجرة المباركة، إذ يتلقى جواب الشجاعة الفائقة في أحلك الظروف، إنه لموقف أبلغ من آلاف الكتب وآلاف الخطب عن الشجاعة!

وسجل القرآن جوانب مهمة من حياة النبيّ المعلم موسى عليه السلام بصحبة قومه من بني إسرائيل يعلمهم ويربيهم، ثم هو يتربّى ويتعلم على يد عبدٍ من عباد الله الصالحين

آتاه الله علمًا لم يكن يعلمه موسى عليه السلام.

وفي القصص بعامةٍ متعة وفائدة، وفي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، الواردة في سورة الكهف بخاصة آداب تربوية وآيات وعظات، وقف الباحث على هذه الآيات بالتحليل، جامعًا مرتبًا مستنبطًا، مستعينًا بالله ومسترشدًا بما تيسّر من مصادر، لعل الله تعالى أن ينفعنا والقارئ بها في الدنيا والآخرة إنه أكرم مسؤول.

الفصل الأول
مشـكلة البحث وأهميته

مشكلة البحث:

ما زالت التربية في بلادنا تعاني من أزمة في نوعية الأجيال التي تخرجها، وما ذاك لسبب في ضعف المناهج أو قصور فيها، وقد عشنا دهرًا نعكف على المناهج تأليفًا وتنقيحًا وتبديلًا وتطويرًا، ولكنّا ما أحسنّا لحد الآن أن نُعِـدَّ المعلم إعدادًا حسنًا، بحيث نجعل منه قدوةً لطلابه في كافة المستويات، ولهذا نجد المؤسسات والآباء والناصحين وغيرهم يشكون المعلم ويفتقدون فيه القدوة، إلاّ من رحمَ الله.

وما موجات العنف التي تغطي بلادنا وبلاد العالم الثالث، إلاّ نتيجة لسببين رئيسين؛ الأول: سياسة التجهيل والإفقار المتبعة في حق شعوبها، والثاني: التقصير في إعداد المعلم القدوة. لأن التربية كما هو معلوم تتأثر بالفلسفة التربوية للقائمين على الحكم في أي بلد. وقادة العالم الثالث تبعٌ لسياسات النظام العلمي القوي، وإن هذا النظام يمارس العنف والإرهاب بأبشع صوره، بل وينميه بصورتيه المباشرة وغير المباشرة، في وقت يدّعي محاربته!

وقد انطوت صفحات المجد التي كان فيها المربّي يصحب تلامذته في الحِل والترحال، يعلمهم ويربيهم ويصقل مواهبهم ويأخذون منه الحال قبل المقال.

وصحبةُ المعلم المربي لتلامذته وسمتُه بينهم وتعامله مع قلوبهم وعقولهم، وتصرفاته بينهم، تترك أعمق الآثار في تشكيل هاتيك العقول وطريقة تفكيرها وتصوراتها ونظرتها

إلى المستقبل، لأن (الصاحب ساحب) كما يقال.

وثمة نصوص في القرآن الكريم تُعنَى بالجانب التربوي، يظن الباحث أن فيها دروسًا لمتدبر أن يحللها على أساس (تربوي)، يستخرج منها دررًا ترصع تاج الخبرة التربوية التعليمية، وزادًا يتزوّد منه المعلمُ والمتعلّم، في مسيرة طلب العلم.

من هذه النصوص؛ النص الذي يحكي لقاء نبي الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح (الخَضِر) الذي علّمه اللهُ ما لم يكن يعلمه النبيّ موسى عليه السلام. عمل الباحث على تناول هذه القصة بتحليل تربوي يجمع بين الأصالة والمعاصرة بلغة طرائق التدريس وأساليبه، لا تخرج عن مقاصد القرآن الكريم، بتحليلها، وتقريب بعيدها، وتوضيح مبهمها، واستخراج عِبَرها، بإذن الله.

من هذه القصة تبرز أسئلة مهمة يروم الباحث التوقف عند إجاباتها نحو: (مَن هو العبدُ الصالح؟ وما حقيقته؟ وهل هو الآنَ حيٌّ أم ميّت؟ وكيف الْتقى نبيَّ الله موسى عليه السلام؟ وما سبب هذا اللقاء؟ وكيف يقوده ويعلمه؟ وما معنى أن يطلب نبيٌّ أن يُعلّمَه مَن هو أقلُّ منه شأنًا؟ وكيف تلقى دروسه عليه؟ وكيف فسر ما حصل من ملابسات؟ والخلاصة: ما المعاني التربوية من وراء هــذا كله؟ وما فوائدها لكلٍّ من المعلم والمتعلم) ؟؟

هذا المرحلة من حياة نبي الله موسى عليه السلام لا نجدها في القرآن الكريم في غير هذا الموضع من سورة الكهف الآيات (٦٠ – ٨٢)، ولا المكان الذي وقعت فيه هذه الرحلة إلا بوصفه (مجمع البحرين). ولا يحدد القرآنُ التاريخ الذي وقعت الرحلة فيه من حياة النبيّ الكريم؛ هل وقعت في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل، أم بعد خروجه بهم منها؟ وهل هي قبل أن يذهب بهم إلى الأرض المقدّسة؟ أم بعد ؟ قبل التيــه؟ أم بعده؟ كذا لا يذكر القرآن شيئًا عن العبد الصالح الذي لقيه موسى عليه السلام: مَن

هو؟ ما اسمه؟ هل هو نبيّ رسول؟ أم عالِم؟ أم وليّ؟[1]

إلاّ أن السّنّة المطهَّرة –كما هو شأنها مع القرآن– بيّنت كثيرًا من جوانب هذا الموضوع، وأجابت عن تساؤلات عدة، منها ما روى الإمامُ البخاريُّ (رحمه الله) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سمع النبيّ ﷺ قال: (إنّ موسى قامَ خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أيّ الناسِ أعلم؟ قال: أنا! فعتَبَ اللهُ عليه إذ لم يَرُدّ العِلم إليه. فأوحى اللهُ إليه أنّ لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلمُ منكَ!...)[2] إلى آخر الحديث الذي سيأتي ذكره كاملًا.

أهداف البحث:

الهدف العام: معرفة الجوانب التربوية في قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح، الواردة في سورة الكهف، في جملة آداب للمعلم والمتعلم.

الأهداف الخاصة: بعد دراستك –عزيزي القارئ– لهذا الموضوع تستطيع أن:

١– تذكر عددًا من آداب الصحبة والسفر.

٢– تُحصي عددًا من آداب المتعلم وأهمها: (الحرص والمبادرة للتعلم، والصبر على تحمل مشاقّ طلبتهِ ولاسيّما الرحلة، والسمع والطاعة والتواضع والانتباه للمعلم، والأدب مع الله سبحانه وتعالى، وأخرى أهمها: الإيمان بالقدَر والرضا به).

٣– تعدد أهم آداب المعلم وصفات المربي مثل: (العِلم، والحزم، والسَّمت، والقوة، والوقار، والجدّ، والصدق، والصبر على المتعلم وإعذاره، والوفاء بالوعد وغيرها).

٤– توقن بقدر الله وتحث النفس على الرضا به، وتستحضر ذلك في حياتك.

---

(١) ١ ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، مج ٤ ج ١٥ ص٢٢٧٧ ط٧، دار الشروق ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

(٢) ٢ صحيح البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجُعفي، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير – اليمامة، دمشق – سورية وبيروت– لبنان. برقم (٣١٤٩).

٥- تتعرف أمثلةً من واقعك تشبه ما جرى في القصة، من أسرار تحكي حكمة البارئ عز وجل.

٧- تنمي قدرة التحليل والاستنباط لديك.

٨- تتريث في إصدار الأحكام على الأشخاص والأحداث.

٩- تُعطي آراءك في عدد من أحداث القصة وأشخاصها وكثير من الظواهر.

١٠- تفيد من تجربة القصة في حياتك التربوية، وتطبق مبدأ التربية بالصحبة.

أهمية البحث: ومن هذه الأهداف تتمخض أهمية هذا البحث، متمثلة في:

أولًا/ أهمية العلم والتعلم: لا يخفى اهتمامُ الإسلام بالمعلم وبالمتعلم صغيرًا أو كبيرًا، فوضع لكلٍّ آدابًا، لتسير العملية التربوية التعليمية بصورة سليمة نافعة تؤتي ثمارها كل حين بإذن الله تعالى. فالتربية والتعليم في الإسلام يمتدّان من المهد إلى اللّحد. وخالقُ الإنسان هو أول معلم له، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: من الآية٣١) ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق: الآية ٥). ودعا في أولى آياته إلى القراءة إذ هي وسيلة التعلم الأساسية، فقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ (العلق:١) وحدد وسيلتها بالكتابة بالقلم فقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ (العلق:٣-٤) وهكذا فالعلمُ بالتعلّم، كما أن الصّبرَ بالتَّصبُّر، والحِلمَ بالتحلّم. ويتجلى شرف العلم أنْ يدّعيه مَن ليس فيه، ويفرح إذا نُسب إليه. وكفى بالجهل شينًا أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه، كما قال الشافعي رحمه الله. ولا يعلو على التعلّم والتربية بشرٌ مهما علت منزلته، حتى وإن كان نبيًا مرسلًا، بل هو أولى. لأن الله تعالى هو المعلم وهو المربِّي، وطاعته عبادة. وقد أثنى تعالى على أهل العلم مشهدًا إياهم على وحدانيته قائلًا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ (سورة آل عمران/ الآية ١٨).

ثانيًا/ أهمية كتاب الله المجيد: القرآن دستور الأمة إلى يوم القيامة، يحتاج إليه كل مسلم في كل موقع. أهم ما يوصف به أنه بحسب روي عن أمير لمؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (ستكونُ فتنةٌ) فقلتُ: ما المخرَجُ منها يا رسول الله؟ قال: (كتابُ الله؛ فيه نبأ ما كانَ قبلَكم، وخبَرُ ما بَعدَكم، وحُكمُ ما بينَكم، وهو الفصلُ ليسَ بالهزل، مَن ترَكَهُ مِن جبّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، ومَن ابتغى الهُدى بغيرِهِ أضلَّهُ اللهُ، وهو حبلُ اللهِ المتين، وهو الذّكرُ الحَكيم، وهوَ الصّراطُ المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبسُ عليه الألسِنة، ولا يَشبعُ منه العُلماءُ، ولا يَخْلَقُ على كَثرةِ الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبُهُ، وهو الذي لم تنتهِ الجنُّ إذا سمعَتْهُ حتى قالُوا: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ**﴾ (الجن: من الآيتين١-٢) مَن قالَ بهِ صَدَقَ، ومَن عمِلَ به أُجِرَ، ومَنْ حَكَمَ بهِ عَدَلَ، ومَنْ دَعَا إليهِ هُديَ إلى صراطٍ مُستقيم)[1].

وقد جعل الإسلامُ الخيرية لمَن علَّمَه بعد أن يتعلَّمَه، فقال النبيّ ﷺ : (خَيرُكمْ مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ).[2]

ثالثًا/ أهمية القصص: ومن أمضى أساليب التربية (التربية بالقصّة)، لذا "تُعدّ القصة من أساليب التدريس الفعالة التي تعمل على تشويق الطلاب، وإثارة دافعيتهم للتعلم، وهي وسيلة للتوضيح والفهم، وعامل تربوي مهم في تنمية الاتجاهات والقيم، وتربية النشء وتعديل سلوكه".[3] من هنا نجد أن القصة قد احتلت مساحةً واسعةً في كتاب

(١) ٣ الحديث أخرجه الترمذي برقم (٢٩٠٦) عن علي (y) مرفوعًا، وضعفه الألباني.
(٢) ٤ الحديث أخرجه البخاري ج٤/ ص١٩١٩برقم (٤٦٣٩)، وأبو داوُد: ج٤/ ص٩٩ برقم (١٢٤٠) و(٤٢٥٦)، والإمام أحمد: ج١/ ص٦٩، وص١٦٨ برقم (١٤٤٦)، عن عثمان (y).
(٣) ٥ المرجع في تدريس علوم الشريعة، عبدالرحمن صالح عبدالله، مؤسسة الورّاق، ودار البشير، عمّان ـ الأردن، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

الله الخالد، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف:١١١). والقصة أسلوب تربوي فاعل في بناء القيم والاتجاهات وفي اكتساب الخبرة والمعرفة، وهي وسيلة من أهم وسائل تبليغ دعوة الله.[1] وتتجلى أهمية القصص أيضًا في الأهداف التي يرمي إليها، ومنها:

١- نصب القدوة الحسنة، أمام الناشئ الذي يميل إلى التقليد في مقتبل عمره، حتى تستقر شخصيته، والقصة تشبع لديه هذا الميل.

٢- الاعتبار والاتّعاظ وقابلية التطبيق، ما يقرب المُثُل والقيم والمبادئ إلى ذهن المستمع، مجسَّدَةً بشخوص القصة.

٣- التعليم عن طريق الإيحاء: بإيصال الفكرة إلى الآخرين من غير أمر أو تلقين مباشر، وهذا ما تفعله القصة.

٤- تعويد اليقظة والانتباه: يربي القصص في الناشئ دقة الانتباه وتتبع الفكرة بعد الفكرة، والسؤال عن الغامض، مما يدفعه إلى التعلم.

٥- تنمية الخيال الصادق لدى المستمع، ما يعينه على الإيمان بالغيب واستحضار الجنة ونعيمها والنار وعذابها ومشاهد القيامة.

وتتجلى أهمية القصص -إضافةً إلى ما سبق من أهداف- في:

الفوائد التربوية للقصص: وفي القصص الهادف فوائد تربوية جَمّة منها:

١. في الإنسان غريزةُ (كره النصح المباشَر)، فالتعريض بالقصة أنفع.

٢. المتعة النفسية البالغة لسماع أحداث لم ترها عين السامع، وأخبار ما لم يرَ من

(١) ٦ ينظر «التصوير الفني في القرآن» لسيد قطب، ص١٩٩، ط ٩، دار المعرفة القاهرة، (لا ت).

شخوص وأماكن، لما فطره الله على حب تتبع الأخبار واستطلاع الأحداث.

٣. الإفادة من الخبرات والتجارب الماضية لدى الصالحين والتأسّي بهم، والاتعاظ بمصائر الظالمين والمنحرفين.

٤. تنمية مهارات الإصغاء والتفكير والتحليل والربط والقياس وغيرها.

٥. إثراء خزين التلميذ بمصطلحات جديدة تضاف إلى قاموسه اللغوي، وتعويده الكلام بلغة عربية فصيحة.

٦. تعويده أدب الحوار عن طريق أحداث القصة، أو عن طريق السؤال والجواب.

٧. زرع القيم والاتجاهات المطلوب غرسها في نفوس التلاميذ.

رابعًا/ أهمية الصُّحبة: الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، يتألف ويتأثر ويؤثّر بمقدار قوة شخصته. فالصحبة أهم وسيلة لهذا التأثير والتأثر، فالصاحب ساحب كما قيل، والصحبة طريق التأسي، وأفضل الناس بعد الأنبياء أصحابُهم وحواريّوهم، لأنهم حمَلَة الدعوة وخلفاؤهم بعدهم في إبلاغ رسالات الله إلى العالمين. قال رسول الله ﷺ: (خيرُ الناسِ قَرْني، ثُمَّ الّذينَ يلُونَهُم)[1]. ذلك لأن الصاحب أجدر الناس بحمل أمانة صاحبه من الأخ والأب والابن في غالب الأحوال. و(خيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خيرُهُم لصاحبِه)[2]. والصحبة -أخيرًا- أمانةٌ بحاجة إلى الحفظ والرعاية.

خامسًا/ أهمية دَور المعلم المربي: وإذا جازَ تشبيهُ المدرسةِ بكائنٍ ينبض بالحياة، فإنّ المعلم هو القلب الذي يزوّد ذلك الكائن بكل مقوّمات الحياة.. لأنه متى صلحَ المعلمُ

(١) ٧ أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٨) و(٣٣٧٨) و(٥٩٤٩)، ومسلم (٤٦٠١) عن عبدالله بن مسعود (رض).

(٢) ٨ أخرجه الترمذي برقم (١٨٦٧)، وأحمد برقم (٦٢٧٨)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

صلحت المدرسة وصلحَ المجتمع.[1] والمعلم وريث النبوة يقوم بمهمة الرسل بعد خاتم النبوة، ويكفيه فخرًا قول خير البشر ﷺ. القائل: (إنما بُعِثتُ مُعلّمًا)،[2] إذ هو المعلم الأول بعد رب العالمين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران:١٦٤).

وللمعلم دور كبير في العملية التربوية، فهو المعبّر والناقل لفلسفة المجتمع التربوية وفي ضوء أهدافها، وهو الذي يُسهم بشكل فاعل في المحافظة على خصوصية الأمّة وأصالتِها وتراثها الحضاري. وعلى الرغم من الاختلافات التي نجدها بين النظريات التربوية، فإن هناكَ تسليمًا بأن المعلم يُعدُّ مفتاحَ العملية التعليمية.[3]

وقادة الشعوب الذين انتبهوا إلى هذه الحقيقة، واستطاعوا مسك زمام بعضٍ من أمورهم، عملوا على زيادة تخصيص الميزانية المالية للتربية والتعليم فتطوّر هذه الشعوب، ومازالت شعوبٌ تراوح في مكانها أو تخلّفت؛ فهي إمّا شُغلت بحروب خاسرة، وإما ابتُليت باحتلال لئيم أتى على الأخضر واليابس فانفرط أمرها، أو ابتُليت بقائدٍ لئيمٍ مصرٍّ على تجهيل شعبه وجعله في آخر الركب! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حـــدود البحث: يتحدد البحث الحالي بنصّين هما:

١- الآيات (٦٠ - ٨٢) من سورة الكهف، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا

(١) ٩ علي الشوبكي، صفات المربي، نشر وزارة المعارف العراقية، بغداد، ط١، ١٩٥٥م، ص٣٣.
(٢) ١٠ أخرجه مسلم: بلفظ (إنّ الله لم يبعثني معنّفًا ولكن بعثني معلّما ميسِّرًا) ٢/ ١١٠٤ (١٣٩٩١).
(٣) ١١ عفيفي، محمد الهادي، وسعد مرسي أحمد، قراءات في التربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، دار الثقافة العربية للطباعة، ١٩٧٣م.ص٦٩.

حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الكهف: ٦٠ – ٨٢.

٢- الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس وأُبي بن كعب

رضي الله عنهما بألفاظ متقاربة أن النبيّ ﷺ قال:

(إنَّ موسى قامَ خطيبًا في بني إسرائيل فسُئلَ أيّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا! فعَتَبَ اللهُ عليه، إذ لم يردّ العلمَ إليه! فقال له: بَلَى لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلمُ منكَ! قال: أي ربِّ ومَن لي بهِ؟ قال: تأخذ حوتًا فتجعَلَه في مِكْتل، حيثُما فقدْتَ الحوتَ فهو ثَـمَّ. وأخذَ حوتًا فجَعَلَهُ في مِكتل، ثمَّ انطلقَ هوَ وفتاهُ (يوشَعُ بنُ نون) حتّى إذا أتيا الصخرةَ وضعا رؤسَهما فرقد موسى واضطرب الحوتُ فخرَجَ فسقطَ في البحر، فاتخذَ سبيلَهُ في البحرِ سَرَبًا، فأمسكَ اللهُ عن الحوتِ جَريةَ الماءِ، فصارَ مثلَ الطاق، فانطلقا يمشيان بقيةَ ليلتهما ويومهما حتى إذا كان من الغـدِ قال لفتاهُ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرِنا هذا نصَبًا، ولم يجد موسى النصَبَ حتى جاوزَ حيث أمرَهُ اللهُ. قال له فتاه أرأيتَ إذ أوينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيهُ إلاّ الشيطانُ أنْ أذكرَهُ، فاتّخذَ سبيلَهُ في البحرِ عَجَبًا، فكان للحوتِ سَرَبًا ولهما عَجَبًا! قال له موسى: ذلك ما كنّا نبغي فارتدّا على آثارهما قَصَصًا، رجعا يقصّانِ آثارَهُما حتى انتهيا إلى الصخرةِ، فإذا رجلٌ مُسَجّى بثوبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عليهِ قائلًا: وأنّى بأرضكَ السلامُ؟ قال: أنا موسَى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتُكَ لتعَلِّمَني ممّا عُلِّمْتَ رُشدًا. قال: يا موسى إنّي على علمٍ من علمِ اللهِ علَّمَنيهِ اللهُ لا تعلَمُهُ، وأنتَ على علمٍ من علمِ اللهِ علَّمَكَهُ اللهُ لا أعلمُهُ. قال: هل أتَّبِعُكَ؟ قال: إنَّكَ لن تستطيعَ معيَ صَبرًا، وكيفَ تَصبرُ علّى ما لَمْ تُحِطْ بهِ خُبرًا. فانطلَقا يمشيان على ساحل البحرِ، فمرَّت بهما سفينةٌ كلَّمُوهم أن يَحملوهم فعرَفوا الخَضرَ، فحَملوهُ بغيرِ نَولٍ. فلمّا ركبا في السفينةِ جاءَ عُصفورٌ فوقعَ على حرفِ السفينةِ فنَقَرَ في البَحرِ نقرةً أو نقرتين، قال له الخَضرُ: يا موسى ما نقصَ علمي وعلمُكَ مِن علمِ اللهِ إلاّ مثل ما نقصَ هذا العصفُورُ بمنقارِهِ من البحرِ! إذ أخذَ الفأسَ فنزَعَ لَوحًا، قال: فلمْ يَفجَأ موسَى إلاّ وقد قلَعَ لَوحًا بالقُدّوم، فقال له موسَى: ما صنعتَ قومٌ حملونا بغير نول عمدتَ إلى سفينتهم فخرقتَها

لِتغرِقَ أهلَها- لقد جئتَ شيئًا إمرًا! قال: ألمْ أقُلْ إنّك لن تستطيعَ معيَ صبرًا! قال: لا تؤاخذْني بما نسيتُ ولا تُرهقني من أمري عُسْرًا، فكانت الأولى من موسى نسيانًا، فلمّا خرجا منَ البَحر مَرُّوا بغلام يلعب مع الصبيانِ، فأخذَ الخَضرُ برأسِهِ فقَلَعَهُ بيدِهِ هكذا -فأومأ الراوي بأطرافِ أصابعِهِ كأنّهُ يقطف شيئًا-[1] فقال موسى: أقتلتَ نفسًا زكيةً بغيرِ نفسٍ لقد جئتَ شيئًا نُكْرًا، قال: ألم أقُلْ لكَ إنكَ لن تستطيعَ معيَ صَبرًا؟ قال: إنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ مائلًا فَأَقَامَهُ، أومَأ بيدِهِ هكذا - وأشارَ الراوي كأنّه يمسحُ شيئًا إلى فوق- قال: قومٌ أتيناهُم فَلَمْ يُطعِمونا ولمْ يُضَيّفونا، عَمَدْتَ إلى حائطِهِم، لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا؟! قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا!) قال النبيّ ﷺ: (وَدِدْنَا لَوْ أنَّ موسَى كانَ صَبرَ لَقُصَّ علَينا مِن أمرِهما) وقرأ ابنُ عبّاس رضي الله عنه وَكانَ أمامَهُمْ مَلِكٌ يأخُذَ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غَصبًا، وأما الغُلامُ فكانَ كافرًا وكانَ أبواهُ مؤمنين).[2]

سبب الحادثة: قال العوفي عن ابن عباس: لما ظهرَ موسى وقومُه على مصرَ أنزل قومَه مصرَ، فلما استقرت بهم الدار أنزل الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ (إبراهيم/ من الآية ٥) فخطب موسى قومه، فذكَرَ ما آتاهم الله من الخير والنعمة، وذكّرَهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وذكَّرَهم هلاكَ عدوهم، وما استخلفَهم الله في الأرض. وقال كلّم الله نبيكم تكليمًا، واصطفاني لنفسه، وأنزل عليّ محبةً

(١) ١٢ ورد في تفسير ابن كثر طرقٌ أخرى لقتل الغلام، والنص هنا صريح بقلع رأسه.

(٢) ١٣ صحيح البخاري، باب حيث موسى مع الخضر عليهما السلام، ٤/ ١٥٤ (٣٤٠١)، في كتاب العلم، وصحيح مسلم، باب فضائل الخضر عليه السلام، ٤/ ١٨٤٧، ١٩٥٢ (١٧٠) و(٤٦).

منه، وآتاكم اللهُ مِن كل ما سألتموه. فنبيُّكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرأون التوراة. فلم يترك نعمةً أنعمَ الله بها عليكم إلا وعرّفكم إياها. فقال له رجل من بني إسرائيل: هم كذلك يا نبي الله قد عرفنا الذي تقول، فهل على الأرض أحدٌ أعلمُ منك يا نبي الله؟ قال: لا ! فبعث الله جبرائيل إلى موسى عليه السلام فقال إن الله يقول وما يدريك أين أضع علمي؟ بلى إنّ لي على شط البحر رجلًا هو أعلم منك. قال ابن عباس هو (الخَضِر)، فسأل موسى ربَّه أن يريَه إياه. فأوحى إليه أن ائتِ البحر، فإنك تجد على شط البحر حوتًا فخُذْه فادْفَعْهُ إلى فَتَاكَ ثم الزمْ شاطئ البحر، فإذا نسيتَ الحوت وهَلكَ منك فثمَّ تجدُ العبدَ الصالح الذي تطلب، فلما طال سفر موسى ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت؟ فقال له فتاه -وهو غلامه- وقيل: إن اسمه يوشع بنُ نون ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ فقال موسى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

تحديــد المصطلحات:

التربية هي عملية صناعة الإنسان.. وتطلق التربية على كل عملية أو مجهود أو نشاط يؤثر في قوة الإنسان أو تكوينه. والتربية: تحصيلٌ للمعرفة وتوريثٌ للقيم، كما هي توجيهٌ للتفكير وتهذيبٌ للسلوك. ويعدها البعض عمليةً هدفُها الحصول على الإنسان السوي المعتدل، كما أقرت بذلك كل الديانات السماوية.

المفهوم الشامل للتربية يرى بأن التربية هي الوسيلة التي تساعد الإنسان على بقائه واستمراره ببقاء قيمه وعاداته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولمصطلح

(١) ١٤ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م ٣/ ٩٢.

التربية تعريفاتٌ عدّة، كلٌّ منها يستند إلى خلفية قائلهِ أو كاتبه، وفي مؤلفات الاختصاص عشرات التعريفات منها:

• إن التربية هي الرعاية الشاملة والمتكاملة لشخصية الإنسان من جوانبها الأربعة؛ الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي بهدف إيجاد فرد متوازن يستطيع إصابة قوته واستمرار حياته والتكيف مع بيئتيه الطبيعية والاجتماعية.[1]

وعُرف مصطلح التربية تعريفات عدة، كلّ منها يستند إلى خلفية قائله أو كاتبه..

- فالتربية الإسلامية: "عملية مقصودة تستضيء بنور الشريعة وتهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعًا، لتحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى".[2]

- الصُّحْبَـة: مصدر صَحِبَ، وكل شيءٍ لاءَمَ شيئًا فقد صَحِبَه واستصحبَهُ.

- لا أبرحُ: لا أزول،[3] أي: لا أغادر.

-مجمع البحرين: اختُلف فيه: فمِن قائلٍ: بحر فارس وبحر الروم، وقيل في المغرب عند طنجة. يعني البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. أو خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر، وقيل غير ذلك والله أعلم. وعلى أيٍّ فقد تركها القرآنُ مجملةً فنكتفي بهذه الإشارة.[4]

-الحُوت: السمكة مطلقًا؛ الكبيرة ﴿**فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ**﴾ والصغيرة ﴿**إذ تأتيهم**

(١) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، المؤلف: على أحمد مدكور، الناشر: دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ص١٩.

(٢) ١٦ مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، عبد الرحمن صالح عبد الله، وآخرون، ط١، دار الفرقان، عمّان ـ الأردن، ١٩٩١م. ص١٩.

(٣) ١٧ العمدة في غريب القرآن الكريم، مكي بن طالب القيسي، البينة للطباعة والنشر، ص٣٠٠.

(٤) ١٨ في ظلال القرآن مج ٤ الجزء ١٥ ص ٢٢٧٨.

حيتانُهُم ﴾، وجمْعُه حيتان.[1]

-الحِقْب: قيل: سنة، وقيل: ثمانون سنة، وسبعون.[2] وقال صاحب العُمدة: زمانـًا.[3]

- سَرَبًا: مسلكًا ومنفذًا وهرَبًا مُرهِبًا. وقيل: السَّرَب: البيت في الأرض.[4]

- قَصَصًا: القِصَّة لغةً: من قَصَّ الأثَرَ إذا تتبَّعَهُ. يقال قَصَّهُ واقْتصَّ أثَرَهُ وتَقصَّصَ أثَرَهُ. ومنه القصص بمعنى تتبّع أخبار وأحداث متتالية. وقصَّ الخبَرَ أعلَمَهُ. ففي المعنى الأول قال تعالى: ﴿ **فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴾(الكهف: من الآية٦٤) وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (القصص:١١) أي: تتبَّعي أثَرَه.[5] وفي المعنى الثاني قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (يوسف:٣)، وقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾(الكهف:١٣).

والقِصَّةُ اصطلاحًا: حكايةٌ نثريةٌ تصور أحداثًا واقعية أو خيالية، لمجموعة من الشخصيات تربطها عناصر مشتركة، تعرض بأسلوب فكري وفني مشوّق، بهدف تنمية

(١) ١٩ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ط١ سنة ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ص ١٦٩.

(٢) ٢٠ تفسير القرآن العظيم، المشهور بتفسير ابن كثير ج ٣/ ص٩٢.

(٣) ٢١ العمدة في غريب القرآن الكريم، ص٣٠٠.

(٤) ٢٢ مختار الصحاح، ص ٢٩٣. والعمدة في غريب القرآن الكريم، ص٣٠٠.

(٥) ٢٣ تفسير ابن كثير ج٣/ ص٩٢، ومختار الصحاح، ص٥٣٨. والعمدة في غريب القرآن الكريم، ص٣٠١.

الشخصية بجميع جوانبها: العقلية والوجدانية والجسمية.[1]

- الطاق: الفتحة.

- رُشْدًا: علمًا ذا رشد أرشد به في ديني.

- نَصَبًا: تعَبـًا.

- يريد أن ينقضَّ: أي يسقط، فاستعيرت الإرادة للمشارفة على السقوط، وإلا فالجدار لا إرادة له حقيقةً.

- حرف السفينة: حافتها.[2]

- شيئًا إمرًا: شيئًا عظيمًا فضيعًا. أو كالإصْر الشديد، وقيل: العَجَب.[3]

- وراءهم: أي قدّامَهم، أمامَهم.[4]

- رُحمًا: رَحمةً وعَطفًا.[5]

-العبد الصالح: ورد فيه أنه (خَضِر) حديث النبيّ ﷺ عن أُبَيّ بن كعب بصحيح البخاري. وسُمّي خَضِرًا (إنه جلسَ على فروةٍ بيضاءَ فإذا هي تهتزّ من خلفهِ خضراء).[6]

قال ابن حجر شارح صحيح البخاري: الفروة الحشيش الأبيض وما أشبهه، والحشيش يبيضّ إذا جف ويبس، وقيل: الفروة: الأرض البيضاء).[7]

---

(١) ٢٤ مدخل الى التربية، عبدالرحمن صالح وآخرون، ط١، دار الفرقان، الأردن، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ص١٤٢.

(٢) ٢٥ هذ المفردات من هامش الؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان».

(٣) ٢٦ مختار الصحاح، ص ٢٤. والعمدة في غريب القرآن الكريم، ص٣٠١.

(٤) ٢٧ تفسير ابن كثير، ج٣/ ص٩٢. والعمدة في غريب القرآن الكريم، ص٣٠٢.

(٥) ٢٨ المصدران نفساهما.

(٦) ٢٩ جزء من حديث رواه البخاري برقم (٣١٥٠).

(٧) ٣٠ يُنظر: في موكب النبيين، سيد أحمد كيلاني، ص٣٨٥ دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ

-المِكتَل: شبه الزنبيل يَسعُ خمسة عشر صاعًا.[1]

- نَوْل: أجرة.[2] والنوال: العطاء.[3]

١٩٨٤م.

(١) ٣١ مختار الصحاح، ص٥٦٣.

(٢) ٣٢ تفسير ابن كثير، ج٣/ ص٩٢.

(٣) ٣٣ مختار الصحاح، ص ٦٨٦.

الفصل الثاني
المبحث الأول
تحليل أحداث القصة

العبرة في الحدث لا في الأسماء:

شأن القرآن الكريم إنه يركز على جانب العبرة في الأحداث، ولا يصرح بأسماء الأشخاص والأماكن إلا ما كان فيه عبرة وقصد وحكمة، نرى ذلك في مواضع كثيرة؛ منها؛ هذه القصة إذ لم يذكر اسم العبد الصالح ولا اسم فتاه ولا المكان الذي اجتمعا فيه غير (مجمع البحرين) ولا القرية التي استطعما أهلها، كما لم يذكر القرآن أسماء الفتية أصحاب الكهف ولا عددهم، ولا مكان الكهف ولا الزمان الذي عاشوا فيه، ولا اسم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة ناصحًا موسى عليه السلام في سورة القصص ، ولا الرجل الذي ينصح أهل القرية باتباع المرسلين في سورة يس، ولا اسم الملك الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربِّهِ في سورة البقرة، ولا يذكر اسم القرية أيضًا في مواطن عدّة، إلا إذا كان في الأمر عبرةٌ وضرورة لذكر ذلك.

عزم موسى عليه السلام على طلب العلم:

في قوله تعالى: ﴿ **وإذ قالَ موسى لفتاهُ: لا أبرحُ حتى أبلُغَ مَجمَعَ البَحرينِ أو أمضِيَ حُقُبًا** ﴾ يُعلن موسى تصميمه على بلوغ (**مجمع البحرين**) مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول ﴿ **أو أمضيَ حُقُبًا** ﴾ أي: دهرًا طويلًا حتى أَبلغَ هدفي في التعلم! ولا ريب إذ طلب العلم عبادة، واستكمال لشروط القيادة. ورغم

اختلاف المفسرين في الحِقْب، إلا أنه تعبير عن التصميم لا عن المدة على وجه التحديد.[1] وفي هذا دعوة إلى العزم على ركوب الصعاب طلبًا للعلم الراشد النافع للأمة، وهي مسؤولية طلاب العلم والعلماء والقادة والرؤساء! وقد قيل: تفقّهْ قبل أن ترأس، فاذا رأستَ فلا سبيل إلى التفقّه.

الأدب في طلب العلم والتواضع فيه:

وينبغي لطالب العلم أن يتواضع لمعلِّمِه، فإنَّه بمثابةِ أبيهِ الذي يريد أن يصرفه عن شرور الدنيا ويسعى في مصالحِه، فكما أن المعلم لطلابه كالوالد الرؤوف لقول النبيّ ﷺ: (إنما أنا لكم مثلُ الوالدِ لولَدِه)[2]، كذلك على الطلاب أن يكونوا بتواضع الابن لأبيه. وعلى طالب العلم مهما كبر سنه ومقامه أن يتأدب بآداب طالب العلم المعروفة وأنه لا يدّعي أنه أعلم الناس وأنه إذا سُئل عن أعلم الناس يقول (أالله أعلم).[3]

ويسأل الطالب (موسى) سؤال تلطف لا على وجه الإلزام والإجبار: ﴿ **قالَ لهُ موسى: هَلْ أتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾؟ وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم. وقوله (أتّبِعُكَ) أي أصحبُكَ وأرافقُكَ، ولعلنا نلمح التواضع من لفظ أتبعك، ولا تبعية إلا لمن هو أعلى عادة. ﴿ **عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ "أي مما علَّمكَ اللهُ شيئًا أسترشد به في أمري من علم نافع صالح".[4] أسترشدُ به في طريقي قائدًا. وفيه إشارة إلى توكيد العلم الراشد الذي لا يستغني عنه المعلم المربي والداعية

(١) ٣٤ في ظلال القرآن مج ٤ ج ١٥ ص ٢٢٧٨.

(٢) أخرجه ابن ماجة: ج١/ ص١١٤ برقم (٣٠٩)، وأحمد: برقم (٧٠٦٤)و(٧١٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ٣٦ شرح صحيح مسلم» للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (بلا تاريخ).

(٤) ٣٧ يُنظر: تفسير ابن كثير ج ٣/ ص٩٦.

والقائد، وعلى كل طالب علمٍ على أن يبدأ تعلّمَه بما يخصّه وينفعه من الراشد من العلم ويحرص عليه.

"بهذا الأدب اللائق بنبيّ يستفهم ولا يَجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالِم. ولكنّ علمَ الرجل ليس هو العلم البشَري الواضح الأسباب القريب النتائج، إنما هو جانب من العلم اللدنّي بالغيب أطلعَه اللهُ عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أردها، ومن ثَمّ فلا طاقة لموسى عليه السلام بالصبر على الرجل وتصرفاته ولو كان نبيًا رسولًا. لأنّ هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي وبالأحكام الظاهرة. ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة، وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار. لذلك يخشى العبد الصالح (المعلم) على موسى (الطالب) ألاّ يصبر على صحبته وتصرفاته".(١)

﴿ **قال: إنَّكَ لَن تستطيعَ معيَ صَبرًا** ﴾ أي: إنك لن تقدر على مصاحبتي، لما ترى مني من الأفعال من التي تخالف شريعتك، لأني على علم من الله ما علّمَكَهُ الله، وأنت على علم من علم الله ما علَّمنيه اللهُ، فكلٌّ منا مكلَّف بأمور من الله دونَ صاحبه، وأنت لا تقدر علَى صحبتي، قال موسى: بلى! قال: ﴿ **وكَيفَ تَصْبِرُ علَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبرًا** ﴾ أي: إنك إنما تعرف ظاهرَ ما ترى ولم تُحِط من علم الغيب بما أعلمُ. فأنا أعرِفُ أنك ستُنكر على ما أنت معذور فيه، عندها قال موسى: ﴿ **سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ صابِرًا ولا أَعصي لكَ أمرًا** ﴾(٢)

شرط المعلّم: للمعلم أن يشترط على تلاميذه قبل أن يباشر تعليمهم، وللطالب أن يرضى بهذه الشروط حرصًا على العلم الذي يطلبه. ﴿ **قال: فإن اتَّبَعْتَني فَلا تَسألْني**

(١) ٣٨ في ظلال القرآن مج ٤/ ج ١٥ ص ٢٢٧٩.
(٢) ٣٩ تفسير ابن كثير ج ٣/ ص ٩٥-٩٦.

عَن شيءٍ حتى أُحدِثَ لكَ منهُ ذِكرًا ﴾. "ويعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين اللهَ ويقدم مشيئته: ﴿ **قال: سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ صابرًا ولا أَعصي لكَ أمرًا** ﴾. فيزيد (المعلم) الأمر توكيدًا وبيانًا، ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة، وهو أن يصبر فلا يسأل ولا يستفسر عن شيءٍ من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها: ﴿ **قال: فإن اتَّبَعْتَني فَلا تَسأَلْني عَن شيءٍ حتى أُحدِثَ لكَ منهُ ذِكرًا** ﴾ ويرضى موسى"[1] التلميذ المُطيع، الذي قرّرَ أنْ يصبر على شرط معلمه.

الدافعية للتعلم: لابد من إيجاد الدافعية للتعلم عند التلاميذ قبل البدء بالدرس: وتعني الدافعية توجيه انتباه التلاميذ إلى التعلم وإثارة الرغبة لديهم ودمجهم فيه، لتقبّل الدرس. تجسّدَ ذلك في عتاب الله لنبيه موسى عليه السلام واستفزازه له بتصحيح طرحه بأنه أعلم الناس، وإعلامه أن ثمة مَن هو أعلمُ منه أولًا، وفي وضع المعلم الصالح تلميذَه موسى أمام تحدٍّ كبير هو اتهامه بقلة الصبر ثانيًا: ﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾. ما دفعه إلى الإقرار بقوة وإعلان الالتزام بالصبر على التعلم قائلًا: ﴿ **سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ صابرًا ولا أَعصي لكَ أمرًا** ﴾. وحين نسي كرر له التحدي مؤكدًا بكلمة (**لكَ**) قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ ما دفعه إلى طلب الفرصة وجعلها الأخيرة وإعطاء العهد بذلك ﴿ **قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا** ﴾. فعلى المعلم أن يتفنّن في إيجاد الدافعية لدى تلاميذه، إذ بلا دافعية لا يكون التعلم! (**No Motive No Learning**).

حياة الخضر أو مماته:

اختُلف في حياة الخضر؛ أحيٌّ هو إلى الآن؟ أم هو ميت. والأرجح هو ميت لم يبق لحد

(١) ٤٠ في ظلال القرآن مج ٤/ ج ١٥ ص ٢٢٧٩.

الآن، ولا إلى عصر نبوة محمد ﷺ، لأنه لو كان كذلك لسمعنا شيئًا صحيحًا عنه من لدن سيدنا رسول الله ﷺ، كما قطع بذلك كبار علماء الأمة، منهم:

- النووي في شرح صحيح مسلم: يقول: (والأحاديث التي يُذكر فيها الخضر وحياته كلها كذبٌ، ولا يصح في حياته حديث واحد).

- البخاري إذ سُئل عن الخضر، هل هو من الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا؟ وقد قال النبيّ ﷺ: (لا يبقى على رأس مِئةِ سنةٍ ممّن هو حيٌّ اليوم على ظهر الأرض أحـدٌ).[1]

- شيخ الإسلام ابن تيمية حين سُئل عنه؟ قال: (لو كان حيًّا لَوَجَبَ عليه أن يأتيَ النبيّ ﷺ ويجاهِدَ بين يديه ويتعلّمَ منه).

- وتابع ابن القيم حديث شيخه مستشهدًا بأقوال العلماء المستندة إلى القرآن والسنّة وإجماع المحققين من العلماء والمعقول.

- وقال الحافظ ابن كثير: وقيل هو حي باقٍ إلى الآن ثم إلى يوم القيامة، في آثار لا يصحّ شيءٌ منها، بدلالة قوله تعالى: ﴿**وما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِن قَبلِكَ الْخُلْدَ**﴾، وبدلالة أن لو كان حيًا لكانَ من أتباع النبيّ محمد صلوات الله عليه وسلامه إذ لا ينبغي لبشرٍ يعيش عهد النبيّ ﷺ أن يخرج عن شريعته.[2] وهي على العموم من مسائل الخلاف في فروع العقيدة، ولا ينبني عليها كبير عمل، فالخوض فيها من الباطل أو التكلف الذي نهينا عن الخوض فيه!

العِلم اللدُنّي: اهتم قسم من الصوفية بشخصية (الخضر) اهتمامًا غير عادي،

(١) ٤١ صحيح الأحاديث القدسية، د. حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٣٦٦-٣٦٧. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم. برقم (١١٣) و(٥٦٦) والترمذي برقم (٢١٧٧)

(٢) ٤٢ تفسير ابن كثير ج٣/ ص٩٩.

ويعتمدون قول الله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾ في الاحتجاج بما يسمى (العلم اللدُنّي)، العلم الذي يتلقاه بعضُ البشَر من الله تعالى -إلهامًا- من غير وسائط التعلم، بسبب صلاح هذا البعض وتقواه استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾، ويعدّونه في جملة (علم الحقيقة) ولسائر الناس المكلَّفين العاديين (علم الشريعة)، وقد يقلل الجهلة منهم من شأن هذا الأخير فلا يحتفون به كثيرًا ! ولا يحرصون عليه حرصَهم على (علم الحقيقة) الذي يُكسَبُهُ المرءُ بكثرة العبادة والأذكار والخلوات وسائر وسائل التزكية بزعمهم! فيخوضون في أخبار الخوارق والكرامات ما صحّ منها وما لم يصحّ!!

والعلم اللدنّي هو "العلم المعتمِد على الكشف وإدراك الحقائق والغوص في أسرارها وحكمها دونما وسائط مادية، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخصّ بعضهم بهذا العلم من لدنْه".[1]

ولا يُنكر الباحث هذا العلم، ولكنه ليس على إطلاقه، أقصد ليس هو القانون الذي تعبّدَنا الله به، ولكن القاعدة الأساس (إنما العِلمُ بالتعلّم)[2]. والإنسان يولد وله استعدادات للتعلم، ومزودًا بآلات التعلم من سمع وبصر وعقل؛ قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (النحل:٧٨) وقيل: إن الرجلَ لا يولد عالمًا وإنما العلمُ بالتعلّم، وقال شاعر:

---

(١) ٤٣ صحيح الأحاديث القدسية، د. حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) ٤٤ جزء من حديث رواه البخاري، كتاب العلم، وكتاب الرؤيا.. مرفوعا، وأورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضا بلفظ (يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) إسناده حسن.

ولم أرَ فرعًا إلاّ بأصلِهِ ولمْ أرَ بدءَ العلم إلا تَعَلُّما

ولنا أن نتناول بالتحليل بقية أحداث القصة على ثلاثة مشاهد بعد اللقاء، كما وردت في القرآن الكريم، وكما رتبها الشهيد سيد قطب رحمه الله في الظلال:

المشهد الأول: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا**﴾.

يخبر الله تعالى: إنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا واشترط عليه الخضر (المعلم) ألّا يسأله عن شيءٍ أنكرَهُ، حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بالشرح والبيان. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا (الخضر) فحملوهم بغير نول (أجرة)، تكرمةً للعبد الصالح (الخضر)، فلما ركبا في السفينة واستقلّتهم السفينة في البحر ودخلت اللجة، لم يُفاجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدّوم واستخرج لوحًا من ألواحها ثم رقعها، فلم يملك نفسه موسى أن قال منكِرًا: ﴿**قال: أخرقتَها لتغرق أهلَها ؟ لقد جئتَ شيئًا إمْرًا**﴾ وفي التفسير قال له موسى: حملونا بغير نول فعمدتَ إلى السفينة فخرقتَها لتغرق أهلها؟ لقد جئتَ شيئًا إمرًا![1] يعني أمرًا مستَنكَرًا، وقيل: مُنْكَرًا، وقيل عَجَبًا.[2]

"سفينةٌ تحملهما مع ركاب، وهم في وسط اللّجّة، ثم يجيء العبد الصالح (المعلم) فيخرق السفينة! إن ظاهر الأمر هنا أن هذه الفعلة تعرّض السفينة وركابها لخطر الغرق، فلماذا يقدم الرجل على هذا الشرّ؟! لقد نسيَ موسى (الطالب) ما قاله له، وبما قاله صاحبه بل معلّمُه، أمام هذا التصرف العجيب الذي لا مبرر له في نظر المنطق العقلي! وقد يتصور الإنسان المعنى الكلّي المجرد، ولكنه عندما يصطدم بهذا المعنى والنموذج الواقعي منه يستشعر له وقعا غير التصور النظري.

(١) ٤٥ تفسير ابن كثير ج٣/ ص٩٤.

(٢) ٤٦ المصدر نفسه ج ٣/ ص٩٧.

وها هو ذا موسى الذي نُبّه من قبل، إلى أنه لا يستطيع صبرًا على ما لم يحِط به خبرًا، فاعتزم الصبرَ واستعان بالمشيئة الإلهية وبذل الوعد وقبِلَ الشرط، ها هو ذا يصطدم بالتجربة العملية لتصرفات هذا الرجل، فيندفع مستنكرًا بطبيعته الانفعالية التي قتل فيها أحد المتشاجرين؛ الفرعوني والإسرائيلي، عندما كان شابًا في مصر: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾القصص/ ١٥، والتي بها ألقَى الألواحَ في الأرض وأخذ يجرُّ برأس أخيه وبلحيته، قال تعالى :﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٠) يندفع قائلا: ﴿ **قالَ أخرقْتَها لِتُغْرِقَ أهْلَها ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إمْرًا** ﴾. لم يصبر على فعلة الرجل المنكَرة ظاهرًا، فلم يستطع الوفاء بوعده أمام غرابتها، إنها حقًا مفارقة؛ رجل يعمل على غرق سفينة تحمله وتحمل أُناسًا آخرين معه. ألا يخشى الغرق على نفسه في الأقل؟ إنها الطبيعة البشرية التي لا تُدرك الأمور حق إدراكها، إلاّ إذا ذاقتْها وجرّبَتْها. ومن هنا اندفع موسى مستنكرًا: ﴿ **قال: أخرقتَها لتغرق أهلَها ؟ لقد جئتَ شيئًا إمْرًا** ﴾! وفي صبر ولطف يذكّره العبد الصالح بما كان قاله منذ البداية. ﴿ **قال ألَم أقُلْ إنّكَ لن تستطيعَ معيَ صَبرًا** ﴾؟ ويعتذر موسى (الطالب المؤدب) ويطالب معلمه أن يقبل عذره ولا يرهقه بالمراجعة والتذكير. ﴿ **قال: لا تؤاخذْني بما نَسِيتُ ولا تُرهقْني مِن أمري عُسرًا** ﴾ ويقبل المعلم الصالحُ الصابر

اعتذارَه".[1] فينطلقان في مسيرتهما التعليمية من غير وسائل تعليمية غير الصحبة والمشاهدات والأفعال الغريبة التي تتطلب صبرًا عاليًا وانتباهًا وطاعةً.

- المشهد الثاني: ﴿ **فانطلقا حتى إذا لقيا غُلامًا فقتلَه** ﴾ !

ثم خرجا من السفينة يمشيان، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرَ الخَضرُ غلامًا يلعب مع الغلمان، فأخذ الخَضرُ رأسَه فاقتلَعَه بيده فقتلَه! وقيل: ذبحًا بسكين. وقيل: رضَخَه بحجر.[2] وقد حسمت رواية البخاري طريقة القتل بقلعه بيديه.

وإذا كان المشهد الأول مجرد محاولة خرق سفينةٍ واحتمال غرَق مَن عليها، فإن في هذا المشهد قتلًا متعمّدًا لنفس، لا مجرد احتمال، وهي فعل كبيرةٍ دفعت الطالب موسى إلى الاعتراض مرةً أخرى، ووصفها بالنكر، رغم تذكيره له في المرة الأولى. ﴿ **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا** ﴾ هكذا بصريح العبارة ﴿ **نُكرًا** ﴾ لأنه رأى نفسَ غلامٍ لم يبلغ التكليف تُزهق روحه، بغير نفسٍ قتلَها ولا كبيرة ارتكبها تستحق هذه العقوبة –القتل–! .

"ومرة أخرى يردّه المعلم الصالحُ إلى شرطه ووعده ويذكّره بما قال له أول مرة: ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾؟ وفي هذه المرة يعيّن أنه قال له لا لغيره ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكَ** ﴾؟ لكَ أنتَ على التعيين والتحديد، فلم تقتنع وطلبتَ الصحبة وقبلت الشرط. ويعود (الطالب) موسى عليه السلام إلى نفسه ويجد أنه خالفَ عن وعدِه مرتين، فيندفع ويقطع على نفسه الطريق ويجعلها آخر فرصة أمامه:"[3] ﴿ **قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ**

(١) ٤٧ في ظلال القرآن مج ٤، ج١٤ ص ٢٢٧٩ (بتصرف).
(٢) ٤٨ تفسير ابن كثير ج ٣/ ص٩٣.
(٣) ٤٩ في ظلال القرآن مج ٤، ج١٤ ص ٢٢٨٠ (بتصرف).

بعدها فلا تُصاحبْني ، قد بلغتَ من لدنّي عُذرًا ﴾ أي: قد أعذرت إليَّ مرة بعد مرة.[1]

وينطلقان وينطلق السياق فإذا بـ:

- المشهد الثالث:

﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهلَ قريةٍ استطعما أهلها فأبَوا أن يُضيّفوهما، فوجدا فيها جدارًا يُريدُ أن ينقَضَّ فأقامَهُ ﴾.

جدار مَن؟ جدار بيتٍ بالقرية التي طلبا من أهلها الطعام، وهما جائعان، فلم يطعموهما، أهل قرية لِئام بُخلاء، وإذا بالرجل الغريب (المعلم) يبادر إلى تعمير الجدار وإقامتهِ مستقيمًا لئلا ينهدم، من غير أجر ولا منفعة مقابلة!

وبدافع من طبيعة النبيّ موسى عليه السلام، العجولة المنفعلة، وربما بضغط دافع الجوع الشديد أيضًا، يعترض على هذا الموقف المتناقض؛ بناء جدارٍ يهمّ بالانقضاض في قرية لم يقدّم أهلها لهما طعامًا رغم طلبهما بألسنتهما، أفلا يتطلب الموقف المطالبة بالأجر على إصلاح الجدار؟ وإنها لفرصة، أجرًا يصلحون به حالهم ويضعون في بطونهما الخاوية شيئًا من طعام على هذه الرحلة الشاقة الحافلة بالمفاجآت.

يُلحظ هنا في الاعتراض الأخير، أنه جاء بصيغة اقتراح أكثر منه اعتراض، اقتراح معلق بمشيئة المعلم ﴿ **لو شئتَ** ﴾، ولكن المعلم الحازم عدَّه -على كل حال- اعتراضًا يُخلّ بالشرط الذي اشترطه عليه، ومداخلةً تُنبئ عن عدم صبره وانتظاره تفسير ما يحصل كما وعده (المعلم) الصالح. ﴿ **لو شئتَ لاتّخذتَ عليه أجرًا** ﴾ "أي: لأجل أنهم لم يُضيّفونا كان ينبغي أن لا تَعملَ لهم مجّانًا!"[2]. ولكن "كانت هذه الفاصلة، فلم يعد

(١) ٥٠ تفسير ابن كثير ج٣/ ص٩٧.

(٢) ٥١ المصدر نفسه ج٣/ ص٩٨.

لموسى من عذر، ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال:"[1]

﴿ **قال: هذا فِراقُ بيني وبينِكَ سأُنبّئكَ بتأويل ما لم تستطع عليه صَبرًا** ﴾. أي لأنكَ شرطتَ عند قتل الغلام أنكَ إن سألتَني عن شيءٍ بعدَها فلا تُصاحبني، فهو فراقُ بيني وبينِكَ سأنبُّكَ بتأويل ما لم تستطعْ عليهِ صبرًا.

وإلى هنا انتهت الدروس الثلاثة القيّمة في محتواها، المبهمة في ظاهرها، أنهاها قلةُ صبر (الطالب) النبيّ موسى عليه السلام. حتى جاء في حديث النبيّ ﷺ : (وَدِدْنَا لَوْ أنَّ موسَى كانَ صَبَرَ لَقُصَّ علَينا مِن أمرِهما)[2]. وله الحق في ذلك، ونحن معه نستغرب هذه السلوكيات التي لا نعلم سرها، ولا نعلم من الشخص الذي يقوم بها، وبأي دافع وبأي قصد. وهكذا فإن عدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها، وإنما يراد بهذا الحكم الإلهية التي تهدف إلى حِكَم غيبية كذلك لا يعرف الناظر العجول لأول وهلة لها تفسيرًا مقنعًا، ما لم يُسعف بمَن يفسرها له. إنما يُراد بهذا كله بيان الحكمة الإلهية العليا التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة، ولا يفسرها العقل المحدود.[3]

ثم يقوم المعلم الحازم بتفسير المشاهد الثلاثة وتجليتها، وبيان الحِكَم الإلهية منها، تلك الحكم التي ألهمَها الله تعالى هذا العبد الصالح بطريقة لا نعرفها تتساوق والإبهام الذي يحيط بأحداث القصة.

تفسير المشهد الأول: ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردتُ أنْ**

(١) ٥٢ في ظلال القرآن مج٤، ج١٤ / ص ٢٢٨٠.

(٢) ٥٣ صحيح البخاري، (٣٤٠١)، في كتاب العلم، وصحيح مسلم (٢٣٨٠) و(١٧٤)، في كتاب العلم، وغيرهما.

(٣) ٥٤ يُنظر: في ظلال القرآن مج٤، ج١٤ / ص ٢٢٨١.

أعيبَها وكانَ وراءهم ملكٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ غصبًا ﴾ أي كل سفينة صالحة.

إنّ السفينة إنما خرقتها لأعيبَها لأنهم كانوا يمرّون بها على ملكٍ من الظلَمة ﴿**يأخذُ كلَّ سفينةٍ**﴾ صالحةٍ جيدةٍ ﴿**غَصْبًا**﴾ فأردتُ أن أعيبَها: لأرُدَّهُ عنها لعيبها، لينتفع بها أصحابُها المساكين، الّذين لم يكن لهم شيءٌ ينتفعون به غيرها، وقد قيل إنهم أيتام.[1] والمسكين هو من لم يجد مالًا يُغنيه. فبهذا العيب نجت السفينة من الغصب الذي كان ينتظرها، فكان الضرر الصغير دافعًا للضرر الكبير بسلبها من أصحابها (المساكين) الذين لا يملكون غيرها مصدرًا للرزق. ولو خيّر أحدنا بين صدمة بسيارته، وبين غصبها وسلبها! لاختار الصدمة حتمًا، حرصًا على بقاء السيارة لأن ذلك أخف الضررين، وهكذا يأمر الشرع الحكيم. وذلك بأن يُدفع الضررُ الأكبر بالضرر الأصغر.

تفسير المشهد الثاني: ﴿**وَأمّا الغُلامُ فَكانَ أبواهُ مؤمنَينِ فخَشِينا أن يُرهقَهُما طُغيانًا وكُفْرًا. فأرَدْنا أنْ يُبدِلَهُما ربُّهُما خَيرًا منهُ زكاةً وأقربَ رُحمًا**﴾.

كُشف ستر الغيب للمعلم الصالح عن حقيقة الغلام الذي يبدو بريئًا لا يستحق القتل، وهذا هو أساس التعامل في شريعتنا، فإذا هو –الغلام– تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان، وتزيد على الزمان بروزًا وتحققًا، فلو عاش لأرهقَ والديهِ المؤمنينِ بكفره وطغيانه، وربما قادهما إلى اتّباعه بدافع من الحب له. فأرادَ اللهُ ووجّهَ إرادة العبد الصالح إلى قتل الغلام، وأن يبدلهما اللهُ خلَـفًا خيرًا منه وأرحم بوالديه.[2]

"قيل: قد فرحَ به أبواهُ حينَ وُلِدَ، وحزَنا عليه حين قُتِلَ، ولو بقي لكانَ فيه هلاكُهُما، فَلْيرضَ امرؤٌ بقضاء اللهِ. قال تعالى: ﴿**وَعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ (سورة

(١) ٥٥ تفسير ابن كثير ج ٣/ ص٩٨.

(٢) ٥٦ ينظر في ظلال القرآن، مج٤ ج١٤ / ص٢٢٨١.

البقرة/ من الآية ٢١٦). وفي الحديث: (لا يقضي اللهُ لمؤمنٍ قضاءً إلا كانَ خيرًا له)[١]،

الإنسانُ يرى الظواهر والله يعلم السرائر، فيوحي ما يشاء إلى من يشاء، ورُبّ ضارة نافعة، ﴿ **فأرَدْنا أنْ يُبدِلَهُما ربُّهُما خَيرًا منهُ زكاةً وأقربَ رُحمًا** ﴾ أي ولدًا أزكى من هذا وهما أرحمُ به منه. وقيل لما قتله الخَضِرُ كانت أمُّه حاملًا بغلام مسلم."[٢] ولو كان الأمرُ موكولًا إلى علم البشر الظاهر، لما كان لأحد أن يقتل بالظنة، ولكن ليس لغير الله ولمَن يُطلعه من عباده على شيء من غيبه أن يحكم على الطبيعة المغيبة لفرد من الناس، ولا أن يرتب على هذا العلم حُكمًا غير حكم الظاهر الذي تأخذ به الشريعة، ولكنه أمر الله القائم على علمه بالغيب البعيد.[٣]

تفسير المشهد الثالث: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ والمدينة هنا هي القرية التي استطعما أهلها فأبَوا.

إنّ هذا الجدارُ إنما أصلحتُهُ لأنه كانَ لِغلامَين يتيمَين في المدينةِ وكانَ تحتَهُ كنزٌ (مالٌ مدفون) لهما، "وقيل لوحٌ من ذهب كُتبت عليه مواعظُ فهي كنز علم ومال أيضًا. قيل في المواعظ أقوال أهمّها أن فيه: (عجبتُ لِمَن يؤمنُ بالقدَر كيف يحزن؟ وعجبتُ لِمَن يؤمنُ بالمَوتِ كيفَ يفرح؟ وعجبتُ لِمَن يعرف الدنيا وتقلّبَها بأهلِها كيف يطمئنُّ إليها؟). وذُكرَ أنهما حُفِظا بصلاحِ أبيهما، ولم يُذكر منهما صلاحٌ، وكانَ بينهما وبين الأب الصالح الذي حُفظا بسببِهِ سبعةُ آباء! وقوله تعالى: ﴿ **وكانَ أبوهما صالحًا** ﴾ فيه دليل على أن الرجل

(١) ٥٧ أخرجه الإمام أحمد عن أنس برقم (١٢٤٣٩) وبرقم (١٩٤٠١).
(٢) ٥٨ تفسير ابن كثير ج٣/ ص٩٨.
(٣) ٥٩ في ظلال القرآن، مج٤ ج١٤ / ص٢٢٨١ (بتصرف).

الصالح يُحفظُ في ذرّيّته، وتشمل برَكةُ عبادتهِ لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجةٍ في الجنة، لتقرّ عينُهُ بهم، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾(الطور: من الآية ٢١) ووردت به السّنّة."[1]

﴿ **فأرادَ ربُّكَ** ﴾ ها هنا أسندَ الإرادة إلى الله تعالى لأنَ بلوغهما الحُلمَ لا يقدر عليه إلا الله، وقال في الغلام ﴿ **فأرَدْنَا أن يُبدِلَهُما ربُّهُما** ﴾ وقال في السفينةِ: ﴿ **فأرَدْتُ أن أعيبَها** ﴾ فاللهُ أعلم. وفيه إشارة إلى أدب العبد المؤمن بنسبة فعل الخير إلى الربّ عز وجل، ونسبة فعل الشر، أو ما ظاهره شرّ إلى نفسه، أو إلى الشيطان.

وقوله ﴿ **رحمةً مِن رَّبِّكَ** ﴾، أي هذا الذي فعلتُهُ في هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو رحمةٌ من الله بمَن ذكرنا من أصحاب السفينة المساكين، ووالدَي الغلام، وولَدَي الرجل الصالح ﴿ **وما فعَلْتُهُ عن أَمري** ﴾ أي لكني أُمِرتُ بهِ ووقفتُ عليه. وفيه دلالة لِمَن قال بنبوة الخَضِر عليه السلام، وقيل بل كان وليًّا وقيل غير ذلك.

فهذا الجدار الذي أتعبَ (المعلمُ) نفسه في إقامته، ولم يطلب عليه أجرًا، وهما جائعان وأهل القرية لا يضيّفوهما، كان يُخبّئُ تحته كنزًا، ويُغيّب مالًا لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة. ولو تُرك الجدار ينقضّ لظَهَرَ من تحته الكنزُ فلم يستطع اليتيمان أن يُدافعا عنه[2] أو أن يتصرفا به، ولعل النص يُخفي أنّ كافل اليتيمين غير أمين، ولعله هو البخيل الذي لم يضيّف النبيّ موسى عليه السلام والعبد الصالح، مما أثار حفيظة النبيّ موسى عليه السلام، والله أعلم. ولما كان أبوهما صالحًا فقد نفعهما اللهُ بصلاحه في طفولتهما وضعفهما، فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما، ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته.

(١) ٦٠ تفسير ابن كثير ج٣/ ص٩٩.

(٢) ٦١ ينظر في ظلال القرآن، مج٤ ج١٤ / ص٢٢٨١.

وفيها دعوة إلى الصلاح وتقوى الله تعالى.

فهي رحمة الله التي هيّأت هذا الرجل يأتي من وراء البحار ليقيم الجدار، ويطيل عمره سنوات أخرى، حتى يكتمل رشد الغلامين اليتيمين، فيستخرجا كنزهما فينتفعا منه. كل هذا بفضل الله ورحمته، ثم بفضل صلاح الوالد ﴿**رحمةً من ربِّكَ، وما فعلتُهُ عن أمري**﴾ إذن هذا الرجل الصالح (المعلم) كان قد أطلعه اللهُ على هذا الجزء من الغيب، وتعميقًا لخبرة تلميذه النبيّ موسى عليه السلام، لينتفع بها أتباعُه من بني إسرائيل، ونحن من بعدهم والأجيال التي تقرأ هذا القرآن من بعد، حتى يأذن الله للساعة أن تقوم.

- ﴿**ذلِكَ تَأويلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾ أي هذا تفسيرُ ما ضقتَ به ذرعًا، ولم تصبر حتى أخبركَ به ابتداءً، ولما أن فسّرَه له وبيّنه ووضّحَهُ وأزال المشكل قال ﴿**تَسْطِعْ**﴾ وقبل ذلك كان الإشكالُ قويًا ثقيلًا فقال: ﴿**سَأُنبّئُكَ بتأويلِ ما لم تستطِعْ عليهِ صبرًا**﴾ فقابلَ الأثقلَ بالأثقل، والأخفَّ بالأخفّ. كما قال ﴿**فما اسْطاعوا أن يَظْهَرُوهُ**﴾ وهو الصعود إلى أعلاهُ ﴿**وما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ وهو أشقّ من ذلك فقابلَ كلًا بما يناسبه لفظًا ومعنىً والله أعلم.

فإن قيل: فما بال فتى موسى ذُكر في أول القصة، ثم لم يُذكر بعد ذلك؟ يقال: إن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخَضِر وذِكر ما كان بينهما، وفتى موسى معه تبعٌ.(١)

فالقصة تكشف عن جانب من غيب الله الذي لا يُطْلع عليه أحدًا إلاّ مَن ارتضى، والقصة تمثل الحكمة الإلهية الكبرى وراء كثير من الأحداث التي نرى ظاهرها شرًا، وهي في حقيقتها خير! هذه الحكمة التي لا تنكشف إلا بمقدار، وتبقى مغيبةً في علم الله

(١) ٦٢ تفسير ابن كثير ج٣/ ص٩٩.

وراء الأستار.[1] ولكن لا مانع من النظر والتأمل في مثل هذه الآيات للعبرة والموعظة والتعلم.

المبحث الثاني
من آداب الصحبــة

وحريٌّ بنا ونحن نختم البحث الحالي عن (التربية بالصحبة)، أن نتناول عددًا من آداب الصحبة لعلها تنفع المؤمنين، الذين يُعطون الصحبة حقها، وما أقلَّهم اليوم! فمن آداب الصحبة:[2]

١- حسن المعاشرة: والتسابق فيه بخدمة الصاحب، لقول النبيّ (ﷺ): (خيرُ الأصحابِ عند الله خيرُهُم لصاحبِهِ).[3]

٢- التماس العذر: قال ابن مازن: (المؤمنُ يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم). وقال حمدون القصّار: (إذا زلَّ أخٌ من إخوانِكَ فاطلبْ لهُ تسعينَ عذرًا، فإن لم يقبل ذلك فأنت المعيب). وذلك من حسن الظنّ الذي أُمِرنا به.

٣- الصفح عن العثرات: لأنه يطيل في عمر العشرة ويصفّي الودَ، قال ابنُ الأعرابي: تناسَ مساوئَ الإخوان يدُمْ لكَ ودُّهُم.

٤- إعطاء كل ذي منزلة ما يليق به: فللمشايخ والأكابر: بالحُرمة والخدمة، وللأقرانِ: بالنصيحة وبذل الموجود، وللمريدين والأصاغر: بالإرشاد والتأديب والحمل على ما يوجبه العلم.

---

(١) ٦٣ في ظلال القرآن، مج٤، ج١٤، ص ٢٢٨٢ (بتصرف).

(٢) يُنظر: آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، لأبي البركات بدر الدين الغَزّي، ص ٥٣-٥٤.

(٣) سنن الترمذي، شاكر، ٤/ ٣٣٣، برقم (١٩٤٤)، ومسند أحمد، الرسالة، الأرناؤوط، ٤/ ٤٥١،

٥- قلّة الخلاف: ولزوم موافقة الصاحب فيما يبيحه العلم والشريعة، يورث المحبة ويدفع الخصام، لأن كثرة المخالفة تقسّي القلب وتبغض صاحبها.

٦- إظهار الفرح والبشاشة: بشاشة الوجه، ولطف اللسان، وسعة القلب، وبسط اليد، وكظم الغيظ، وترك الكبر، وملازمة الحرمة، وإظهار الفرح بما رُزق من هذه الصحبة الطيبة.

٧- النصيحة للصاحب وقبولها منه وعدم الترفع عليها، لعموم حديث: (الدين النصيحة) قيل: لَمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامّتهم)[1]. وقال السّريّ السّقطي رحمه الله: (مِن أجَلِّ أخلاق الأبرار: سلامةُ الصدر والنصيحة لهم). ومن الإخلاص في النصيحة –قال الغَزّي-: أن يراعي في صحبة إخوانه صلاحَهم لا مراءهم، ودلالتَه على رشدهم لا على ما يحبّون.[2]

أقول: فإني تركت إخوةً كثرت على لسان أحدهم الغيبة وكثرة التجريح، والثاني لم ينفعني بعلم ولا سمت، ولم ينتفع هو مني بشيء من ذلك، رغم تذكيري له!

ومما يُنسَب إلى الخليفة الراشد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

وَلا تَصْخَبْ أخا الجَهلِ فَكَمْ مِن جاهلٍ أرْدَى
يُقاسُ المَرءُ بالمَرءِ وللشيءِ علَى الشَّيءِ
ولِلْقَلْبِ علَى القَلْبِ وإيّاكَ وإيّاهُ
حَليمًا حينَ يَلْقاهُ إذا ما هُوَ ما شاهُ
مقاييسٌ وأشْباهُ دَليلٌ حينَ يَلْقاهُ

(١) أخرجه البخاري ١/ ٢١، ومسلم ١/ ٧٤، (٩٥).

(٢) الغزّي:، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، ص١٤،

٨- التعارف: ومعرفة الاسم والنسب والصنعة والتخصص، مهمة لمدّ جسور الألفة والمودة والتعاون بين الأصحاب، عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: رآني النبيّ ﷺ ألْتَفِتُ، فقال: إلامَ تَلتَفِتُ ؟ قلتُ: إلى أخٍ لي أنا في انتظاره، فقال رسول الله ﷺ: (إذا آخَيتَ رجلًا فسلْهُ عن اسمه واسم أبيهِ وجَدِّهِ وعشيرتِهِ ومنزِلِه، فإنْ مرِضَ عُدتَهُ وإن استعانَ بكَ أَعَنْتَهُ).[1] والتعارف أساس من أسس الدعوة الإسلامية، فإنه يقرب البعيد، ويؤلف القريب، ويسلّي من الهم، ويبعث على الأمن. يقول النبيّ ﷺ: (المؤمنُ مألوفٌ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يَألَفُ ولا يُؤْلَفُ).[2]

٩- حفظ العهد: ولاسيما إذا حصل بينهما خلاف وجفوة، فلا يتركْ كرمَ العهد، ولا يُفشي الأسرار المعلومة أيام الصحبة، فضلا عن أن يفجر في خصومته؛ لعدّ النبيّ ذلك من النفاق: (... وإذا خاصمَ فجَر).[3]

نَصِلُ الصَديقَ إذا أرادَ وِصالَنا ... إنْ صَدَّ عنّي كنتُ أكرِمَ مُعرِض
لا مُفشيًا بعدَ القطيعةِ سِرَّهُ ... إنَّ الكريمَ إذا تَقَطَّعَ وِدُّهُ
وَنَصُدُّ عندَ صُدُودِهِ أحيانا ... وَوَجَدْتُ عنهُ مَذْهبًا ومَكانًا
بلْ كاتِمٌ من ذاكَ ما استَرْعانا ... كَتَمَ القبيحَ وأظْهَرَ الإحسان

١١- قبول الاعتذار: ومن حقوق الصحبة قبول العذر عند الاعتذار عن خطأ صدر من الصاحب عمدًا أوخطًا. واللهُ يُحب الإعذار ، لذلك فرض التوبة والاستغفار، وجاء

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، بسند فيه مقال، ١١/ ٣٢٩، ورواه الترمذي في سننه ٤/ ١٧٧، بلفظ: إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٤٠٠، و٥/ ٣٣٥، والطبراني في الكبير ٦/ ١٦١ برقم (٥٧٤٤) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ٣/ ١٣١، (٢٤٥٩)، عن عبدالله بن عُمر رضي الله عنهما.

في الدعاء النبوي المأثور: (أللهمّ إنَكَ عَفُوٌّ تُحبُّ العفْوَ فاعفُ عَنّـا).[1]

١٢- المبادرة في الجواب: عن كتاب الصاحب بعد انقطاع، وترك التقصير في فيه، وقيل: إنّ لِردّ الجواب حقًّا، كما لِردّ السلام حقًّا.

١٣- حفظ الجوارح بالأدب: فأدب البصر بالمودّة والنظر إلى أحسن شيءٍ يبدو منه غير صارفٍ بصرَك عنه في حديثه لك. وأدب السمع في إظهار التلذذ بحديث محدِّثِكَ، غيرَ صارفٍ بصرَك عنه في حديثه، ولا قاطعٍ له بشيء، وأدبُ اللسان أن تُحدّثه بما يحب وينفع وباذلًا له النصيحة له، ولا ترفعُ صوتَك عليه ولا تخاطبُه إلاّ بما يفهم، واعلم أن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ت: شاكر، عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ٥/ ٥٣٤.

الفصل الثالث
الاستنتاجات التربوية والتوصيات

وفي خاتمة هذه الجولة مع المشاهد السريعة التي مرت بنا، ينبغي للباحث أن يوجز أهم الاستنتاجات التي خرج بها في هذا البحث وهي:

١- التربية بالصحبة أمضى أساليب التربية. في التعلم على معلمٍ أو شيخ أو مربٍّ أو مدرب، لا يُكتفى بقراءة الكتب والصحف فإنها قد تغذي الجانب المعرفي غير المنظم، وقد تتجاوز إلى الجانب الوجداني، ولكن الجانب المهاري يبقى في حاجة إلى مَن يُنمّيه في التلميذ، لذا قيل: (مِنَ البليّةِ تشييخُ الصحيفة).

٢- الأنبياء عليهم السلام –بمعزل عن الوحي وبحكم بشريتهم- قد يستعجلون فلا يُصيبون الأحسن، ولكن الله تعالى بلطفه "يربي أنبياءه على أقوم السبل، كما يخص عباده المؤمنين بهدايته إياهم".[(١)]

٣- الحرص على طلب العلم: لقد حرصَ التلميذُ (النبيّ) موسى عليه السلام على التعلم، طاعةً لربه عز وجل، واستكمالًا لكفاياته وإن كان معلمًا نبيًا رسولًا، ومن أولي العزم، كل ذلك لم يمنعه من العزم على لقاء مَن لم يرَهُ قبل ذلك، ويتعلم منه ما يعوزه، في إتمام رسالته وأداء دَوره بقوله: ﴿**لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾.

٤- ضرورة توافر الرحمة عند المعلم قبل العلم، بدليل تقديم الرحمة مرتين: جاءت صياغة الجملتين في الآية بتقديم (الرحمة) على العلم مرةً، وتقديمها على الظرف (من

(١) ٧١ في موكب النبيين، سيد أحمد كيلاني، مصدر سابق. ص٣٨٧.

عندنا) مرة ثانية، بخلاف (العلم) الذي أخره عن ظرفه (من لدنّا)، فقال تعالى: ﴿ **فَوَجَدا عَبْدًا مِنْ عِبادِنا ـ آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ـ وعَلَّمْناهُ مِن لَّدُنّا عِلْمًا** ﴾.

٥- غالى بعضهم بما سمّي (العلم اللدنّي) فساء فهمه، واعتمد بناءً على هذا الفهم عبادات محضة بديلًا عن التعلم، بكثرة الصلاة والصيام والذكر، والزهد في الدنيا، طلبًا للخشوع والتقوى، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٢) لعلهم يقعون على ما أسموه (علم الحقيقة) للخواص، وهو غير (علم الشريعة) لعامة الناس! مع أن النصّ لا يقطع بذلك والله أعلم، ونسُوا أن طلب العلم عبـــادة، بل من أعلى العبادات.

٦- حياة الخَضِر مسألة خلافية، من فروع العقيدة لا ينبني عليها عمل، والأصح انه غير حي ولا باقٍ إلى الآن، لقوة الأدلة التي أوردها الأئمة المحققون كالبخاري والنووي وابن تيمية وغيرهم وقطعوا بحتمية وفاته عليه السلام.

٧- (طلب العلم فريضة): في قول موسى: ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟** ﴾ هكذا بصيغة الطلب، مبادرةٌ سريعة من سيدنا موسى عليه السلام، يفيد إبراز ضرورة طلب الإنسان للعلم إذا احتاج إليه، ولو كان نبيًا رسولًا، وليس في ذلك منقصة، بل رفعة، لأنه أداء لفريضة.

٨- البحث عن الرشد في التعلم: وفي النص إشارة إلى توكيد العلم الراشد الذي لا يستغني عنه المعلم المربي والداعية والقائد، وعلى كل طالب علمٍ على أن يبدأ تعلّمَه بما يخصّه وينفعه من الراشد من العلم ويحرص عليه

٩- التواضع في طلب العلم والحرص، والأدب العالي في الخطاب، بقول موسى: ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ ممّا عُلّمْتَ رُشْدًا** ﴾؟ ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ** ﴾ ولفظة التبعية، تفيد أن المتعلم تبعٌ لأستاذه مهما علا شأنه، وفي هذا تواضع مرغوب يرفع الله به.

١٠- من حق التلميذ أن يشكوَ من شدّة أسلوب المعلم إذا شقَّ عليه ذلك، ويطلب التخفيف بأدب عالٍ، كما قال موسى عليه السلام: (**قال لا تؤاخذْني بما نَسِيتُ ولا تُرهقْني مِن أمري عُسرًا**). وينبغي للمعلم أن يسمع منه بل يحثه ويواسيه ثم يبين له.

١١- على التلميذ الاعتذار عند صدور الخطأ منه، وإعطاء العهد بعدم التكرار، والمبالغة في الاعتذار عند تكرار الخطأ.

١٢- استفزاز المعلم للمتعلم على خلُق مطلوب، في قوله: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾، دليل أنّ من حق المعلم أن يستفز المتعلم على خلُق مطلوب في عملية التعلّم كالصبر، أو أن يهيّئه لما يشق عليه سماعه أو رؤيته. ويدخل هذا في باب (إثارة الدافعية للتعلم)، إذ بلا دافعية لا يكون التعلم! (**No Motive No Learning**).

١٣- السمع والطاعة وعدم المناقشة إلا في الوقت المسموح، من أهم ما ينبغي أن يتحلّى به المتعلمون، لما يعود ذلك بالنفع الكثير، على المتعلم وعلى مَن يسمع معه.

١٤- (التربية بالأحداث) بربط الدرس بواقع الحياة، أسلوب من أساليب التربية المتكاملة في الإسلام، بأن المعلم يختار من مشاهد الطبيعة وسائل إيضاح تعينه على إفهام التلميذ، كما اختار الخَضِرُ حادثة العصفور الذي أخذَ قطرة ماء من البحر.[1] وفي خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

١٥- الرفقة وإشراك المتعلم في فعاليات الدرس، من أهم وصايا التربية الحديثة، غير أننا نرى في هذه القصة، أن القرآن الكريم سبق في ذلك، وكان الأنبياء عليهم السلام أجدر من استعمل هذه الأساليب التربوية النافعة، والصحابة والعلماء والفلاسفة.

---

(١) ٧٢ في موكب النبيين، سيد أحمد كيلاني، مصدر سابق، ص٣٨٩، ويُنظر «طرائق تدريس التربية الإسلامية» محسن عبدالحميد، وآخرون، ص ١٥، نشر وزارة التربية العراقية ٢٠٠٣م.

١٦- الحرص على مواطن العبرة في الأحداث لا على أسماء الأشخاص والأماكن وأعدادهم، -كما علمنا القرآن- فلا يذكر إلا ما كان فيه عبرة. ﴿ **فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا** ﴾ (الكهف: من الآية٢٢).

١٧- العبرة من التربية ليس فيما يحفظ الطلاب من معارف، وإنما العبرة فيما يكتسبون من القيم والاتجاهات وتطبيقها عمليًا، وهذا ما فعله المعلم الملهَم (الخَضِرُ).

١٨- شرط المعلم: للمعلم أن يشرط على المتعلمين، ومتى أخلّوا بذلك، فله أن يُنهي عقد الدراسة معهم. والمؤمنون عند شروطهم.

١٩- فراسة المعلم: في قوله تعالى على لسان المعلم: ﴿ **إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾، فإنها تدل على فراسته لتلميذه، وصحّت هذه الفراسة بتكرار اعتراض التلميذ، وقوله بعدها: ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾، وعلى المعلم تنمية فراسته عنده.

٢٠- النشاط وسرعة الحركة: دلّت عليه كلمة ﴿ **فَانْطَلَقَا** ﴾ التي تتكرر مبدأ كل مرحلة من مراحل السير، إذ لم يقل (فسارا) فالانطلاق يفيد سرعة الابتداء في السير، وتكرارها يفيد استمرار هذا النشاط لديهما.

٢١- صلاح الداعية: إذا كان الداعية معروفًا بالصلاح لدى قومه، وجدَ منهم المساعدة والعون والخدمة، كما خدم أصحاب السفينة الخَضِرَ بنقله دون مقابل.[1]

٢٢- أدب العبد المؤمن مع الله: بنسبة فعل الخير إلى الربّ عز وجل، ونسبة فعل الشر، أو ما ظاهره شرّ إلى نفسه والشيطان. فكان العبد الصالح يقول في السفينة: ﴿ **فأرَدْتُ أن أعيبَها** ﴾. وبعد القتل، ﴿ **فَأَرَدْنا أن يُبدِلَهُما ربُّهُما** ﴾، وفي الجدار وبلوغ الغلامين الحُلُمَ الذي لا يقدر عليه إلا الله، قال: ﴿ **فأرادَ رَبُّكَ أن يَبلُغَا أَشُدَّهُمَا** ﴾. وفي

(١) ٧٣ المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

قول فتى موسى عليه السلام: ﴿ **فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاّ الشَّيْطَانُ** ﴾.

٢٣- دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر، تجلت القاعدة في خرق السفينة طلبًا لنجاتها من الغصب المحتمل، (أمّا السَّفينةُ ... فأرَدتُ أنْ أَعيبَها...) فقط لتنجو.

٢٤- الإنسان يرى الظواهر والله أعلم بالسرائر، فيوحي ما يشاء إلى من يشاء، ورُبّ ضارة نافعة ﴿ **فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**).

٢٥- صلاح الآباء سببٌ في حفظ الأبناء ونفعهم: ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** ﴾ (الكهف:٨٢). فحفظ اللهُ كنز الأيتام لحين بلوغهم، إذ قيّظ لهم مَن يعبر البحار ويقيم الجدار ليبقى كنزهما إلى حين، ليتصرفوا به عن عقل ورشد. وفي هذا دعوة إلى الصلاح.

٢٦- الجـدّيّة والحزم في التعامل مع المتعلّمين، تجسدت في تعامل الخَضِرِ مع تلميذه النبيّ موسى عليه السلام إذ كان معه جادًّا في إنذاراته، وإنهاء الرحلة التعليمية بعد الدرس الثالث، قائلًا: ﴿ **هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾!

٢٧- صبر المعلم على المتعلم: وإعذاره إذا أخطأ وإعطاؤه فرصةً للاعتذار عن الخطأ وتصحيحِهِ، تجسّدَ في صبر الخَضِرِ على كثرة اعتراض موسى عليه السلام وسؤاله، رغم اشتراطه عليه.

٢٨- صبر المتعلم على المعلم: تجسّد في صبر موسى عليه السلام على شدة المعلم وحسمه وعدم إطلاع موسى على المنهاج التدريبي من قبل، ولا على زمن التدريب. وكان بالفعل صابرًا على ما واجهه من حزم، وعلى وعثاء السفرة وكثرة التنقل، وشدة الجوع، وألم الغربة وسوء استقبال أهل القرية لهما، والصبر ضرورة في طريق التعلم.

٢٩- التدرج في عرض الدروس: إذ بدأ بخرق السفينة، وهو أقل استفزازًا من قتل

النفس الذي يثير حفيظة السامع فضلًا عن الرائي لها. ولا سيما إذا كان المقتول صغيرًا!

٣٠- من حق التلميذ أن يسأل وأن يعترض بأدب، إذا رأى حقوقًا كبرى تُهدَر، نحو إزهاق روح، وهذا ما فعله موسى عليه السلام عندما رأى القتل بعينيه! لم يتأخر عن الاستنكار. والمؤمن بفطرته لا يستطيع السكوت على المنكر.

٣١- توقع المعلم سوء فهم المتعلم: في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿ **قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟** ﴾. على المعلم أن يتوقع سوء فهم طلابه لما يجري من فعاليات دراسية، فيستجيب لهم بتوضيح ما أشكل عليهم، كما فعل الخَضِر.

٣٢- الوفاء بالوعد: ﴿ سأنبِّئُكَ ﴾ ينبغي للمعلم أن يوفي بما وعدَ، فيشرح ما قدم من عرض، في نهاية الحصة التعليمية، وكذلك فعل المعلم الصالح (الخَضِر).

٣٣- التأمل في الأحداث وتدبرها والنظر فيما وراءها، يُنمي قدرة التحليل عند المتعلم، وهو عبادة دعا إليها القرآن في كثير من آيه.

٣٤- الإيمان بالقدر، والرضا به وإن كان ظاهره شرًا. إذ لا يقضي اللهُ لمؤمنٍ قضاءً إلاّ كان خيرًا له. وهذا هو زبدة الدروس المستنبطة من هذه القصة، التي تكشف عن جانب من غيب الله الذي لا يُطْلع عليه أحدًا إلاّ مَن ارتضى.

والقصة تمثل الحكمة الإلهية الكبرى وراء كثير من الأحداث التي نرى ظاهرها شرًّا، وهي في حقيقتها خير! هذه الحكمة التي لا تنكشف إلا بمقدار، وتبقى مغيبةً في علم الله وراء الأستار.[1] وفي القصة مزيدُ علم ودرس للمستزيد، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (وَدِدْنَا لَوْ أنَّ موسَى كانَ صَبَرَ لَقُصَّ علَينا مِن أمرِهما)[2] يعني المزيد.

(١) ٧٤ في ظلال القرآن، مج٤، ج١٤، ص ٢٢٨٢ (بتصرف).
(٢) ٧٥ سبق تخريجه.

وفي خاتمة البحث لا يسع الباحث إلاّ أن يقترح الآتي:

١. إجراء دراسة على غرار هذه الدراسة في تحليل مواقف أخرى من القصص القرآني وأخص منها ما يتكلم عن التربية بالمصاحبة، نحو (قصة صاحبي الجنتين) الواردة في سورة الكهف، وقصة (صاحبي السجن في قصة النبيّ يوسف عليه السلام) وغيرهما.

٢. وإجراء دراسة أخرى عن (التربية بالأَحداث) لما لها من علاقة ببحثنا الحالي.

والله تعالى أعلم وأحكم وأرحم، فله الحمد أولًا وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصـــــادر

١. ابن حنبل، الإمام أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر، (لا ت).

٢. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٣، دار المعرفة بيروت – لبنان، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٦٩م).

٣. ابن ماجة، الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت –لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (لا ت).

٤. أبو داوُد، الإمام أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، (لا ت).

٥. البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجُعفي، الصحيح الجامع المسنَد لأحاديث النبيّ ﷺ وأيامه وأمواله، المسمّى صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير - اليمامة، دمشق – سورية وبيروت- لبنان(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)،.

٦. الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، (لا ت).

٧. حامد أحمد الطاهر، صحيح الأحاديث القدسية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٨. سيد أحمد كيلاني، في موكب النبيّين، ج٢، دار القلم، الكويت، ط١، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

٩. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ص١٩٩، ط ٩، دار المعرفة القاهرة، (لا ت).

١٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، مج٤ ج١٤، دار الشروق ط٧،(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

١١. عبد الرحمن صالح عبد الله، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن(١٤١٠هـ ١٩٩١م)،.

١٢. عبدالرحمن صالح عبد الله، المرجع في تدريس علوم الشريعة، مؤسسة الورّاق، ودار البشير، عمّان ـ الأردن، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

١٣. علي الشوبكي، صفات المربي، نشر وزارة المعارف العراقية، بغداد، ط١، ١٩٥٥م.

١٤. الغزّي، أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغَزّي، (ت ٩٨٤هـ)، آدابُ العِشْرةِ وذِكْرُ الصُّحْبَةِ والأُخُوَّةِ ، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان عبدالغفار، دار التربية للطباعة والنشر، بغداد ـ مكتبة التراث العربي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥. محسن عبد الحميد، وآخرون، طرائق تدريس التربية الإسلامية، وزارة التربية العراقية، طبعة عام (٢٠٠٣م).

١٦. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٦٧.

١٧. محمد الهادي عفيفي، وسعد مرسي أحمد، قراءات في التربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٧٣م.

١٨. مسلم، الإمام أبو الحُسين مُسلم بن الحَجّاج القُشَيري النَّيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان(لا ت).

١٩. مكي بن طالب القيسي، العمدة في غريب القرآن الكريم، البينة للطباعة والنشر، دمشق. (لا ت) مطبوع على هامش القرآن الكريم.

٢٠. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (لا ت).

٢١. يوسف الحمّادي، أساليب تدريس التربية الإسلامية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩١م.